

أضواء البيان

. @ 15 @

قال بعض رجال قريش : هذا عدد قليل فنحن قادرون على قتلهم واحتلال الجنة بالقوة ؛ لقله القائمين على النار التي يزعم محمد صلى الله عليه وسلم أنا سندخلها . .
والله تعالى إنما يفعل ذلك اختبارا وابتلاء وله الحكمة البالغة في ذلك كله سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا . { ورعد } ضرب الله المثل بالرعد لما في القرآن من الزواجر التي تقرر الآذان وتزعج القلوب . وذكر بعضا منها في آيات أخر كقوله : { فإن أعرضوا فقل أذرتكم صاعقة } وكقوله : { من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أديبارها } وكقوله : { إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد } . .

وقد ثبت في صحيح البخاري في تفسير سورة الطور من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور . فلما بلغ هذه الآية { أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون } إلى قوله _ { المصيطرون } كاد قلبي أن يطير . إلى غير ذلك من قوارع القرآن وزواجره التي خوفت المنافقين حتى قال الله تعالى فيهم : { يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو } والآية التي نحن بصددنا وإن كانت في المنافقين .
فالعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب . { قوله تعالى برق } ضرب تعالى المثل بالبرق ؛ لما في القرآن من نور الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة . وقد صرح بأن القرآن نور يكشف الله به ظلمات الجهل والشك والشرك . كما تكشف بالنور الحسي ظلمات الدجى كقوله : { وأنزلنا إليكم نورا مبينا } وقوله : { ولاكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا } وقوله : { واتبعوا النور الذي أنزل معه } . .

{ والله محيط بالكافرين } قال بعض العلماء : { محيط بالكافرين } : أي مهلكهم ويشهد لهذا القول قوله تعالى : { لتأتينني به إلا أن يحاط بكم } أي تهلكوا عن آخركم . وقيل : تغلبوا . والمعنى متقارب ؛ لأن الهالك لا يهلك حتى يحاط به من جميع الجوانب ولم يبق له منفذ للسلامة ينفذ